DOI:10.52113/uj05/022-15/1143-1154 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة اوروك للعلوم الانسانية

موقع المجلة : www.muthuruk.com

استيهاماتُ الكولونياليَّة والتخييل التاريخي في نماذج من الرواية العربية

محمّد فاضل جدّوع*

حمزة فاضل يوسف

جامعة القادسية / كلية التربية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2022/1/20

تاريخ التعديل : 2022/2/15

قبـول النشـر: 2022/3/10

متوفر على النت: 2022/7/19

الكلمات المفتاحية :

الرواية العربية ، التخييل التاريخي، الكولونيالية

الملخص

يرومُ البحثُ رصدَ كيفيَّة تناول الرواية العربية الصادرة بين العام 2000 و2019 لموضوعة "الكولونيالية" والاستيهامات الَّتي شكَّلتها عن الآخر - الشرقيين – نتيجة جملة من الرؤى المتخيَّلة المُنتجة من نصوص أدبية كبرى صاغت صوراً لا تنتمي للواقع الشرقي إلا بحدود زمكانيَّة محدَّدة، وكذلك نبحثُ في الكيفية الَّتي تقدَّمت فيها صورة الرجل الكولونيالي وتعامله داخل بلاد الشرق، بوصفه دبلوماسياً أو مُهتماً بالآثار وسواها، وذلك عن طريق التخييل التاريخي الَّذي يشتغل من خلاله الروائي على بناء موضوعة روايته وقراءة الكولونيالية داخلها.

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2022

المقدمـة:

مفهوم الكولونيالية

نضجَ هذا المصطلح Colonialism في القرنين الماضيين عن طريق حقل الدراسات الأكاديميَّة النقدية الأوروبية بعد خروجه من ذهنية المجال العسكريّ إلى الثقافيّ، حيث (أصبحت تعني في القرن العشرين تحديداً الغزو عنوة والاحتلال وإدارة الثقافات والشعوب غير الغربية بواسطة القوى الأوربية والأمريكية الشمالية)[1]، وكان هذا الغزو قائما على إنضاج عناصر معرفية إيديولوجية لتقديم مركزيتهم إذ (تقوم أطروحة التمركز الأوروبي على فرضية استمرارية تاريخية تمتد من اليونان القديم ثم روما إلى القرون الوسطى الاقطاعية ثم الرأسمالية المعاصرة. إلّا أنّ هذا الادعاء بالاستمرارية يفترض الشروط الآتية: أولاً: قطع العلاقة بين اليونان القديم والبيئة التي نما فيها وهي بالتحديد بيئة "شرقية" وإلحاق الهيلينية [أي اليونانية] إلحاقاً تعسفياً "للغرب الأوروبي" المزعوم؛ ثانياً، الامتناع عن استئصال العنصرية التي لا مفر منها من أجل تأكيد الوحدة الثقافية الأوروبية المزعومة؛ ثالثاً، تكبير دور المسيحية وإلحاقها هي الأخرى – بأسلوب تعسّفي – للاستمرارية الأوروبية المزعومة وجعل هذا العنصر أحد أهم العناصر المفسّرة للوحدة الثقافية الأوروبية [...] ورابعاً، اختراع "شرق" خرافي يحتل المكان المناظر المعكوس واتسامه بسمات مضادة لسمات "الغرب" واستدراجها هي الأخرى من المنهج المثالي نفسه القائم على العنصرية ونظرة لا تاريخية للثقافة والأديان)[2].

*الناشر الرئيسي : E-mail : mohamadmishlab@gmial.com

فكان تدجين الشعوب التقليديَّة المقيمة خارج أوروبا هدفاً كولونيالياً يسبقه التصوُّر الجامح المُتشكِّل تخييلياً في العقل الثقافي الجمعي الأوربي، منذ القرون الوسطى، الَّتي صنعتْ رؤىً لحضارات العالم الثالث (الشرق الأوسط، شبه القارة الهند) على أنها مجتمعات تتسمُّ بالبدائية والوحشيَّة، وأنَّها تعوز للمسة الرجل الغربي "الأبيض" الجديد، عبر تدخُّله المباشر عسكرياً واقتصادياً وثقافياً وسلوكياً، و(هكذا أعيد صياغة مفاهيم القرون الوسطى حول الثروة والاستبداد والسلطة فيما يتعلق بالشرق (خصوصاً الشرق الإسلامي) لخلق صورة بديلة للوحشية التي لا تعني هنا نقصاً في الحضارة بل زيادة فيها، انحطاطاً وليس بدائية)[3]، فثمَّة رهان لدى الغرب بتفوّق بديهي وتعالٍ على الآخر لاسيما العنصر البشري في الشرق، المتهم في تخلُّفِ حضارته، وانعدام جلِّ سلوكياته الإنسانية، وهذا الهاجس وغيره – كما يؤكِّد هومي بابا - (هو الخطاب الذي يحدّد تدنّي مرتبة السكان الأهليين بغية تبرير غزوه وما يترتب عليه من توليه حكمهم)[4].

وهذه المفاهيم الَّتي عُرِضتْ سنقوم بتتبّع توظيفها في النصوص الروائية العربية الَّتي مُثِّلت في التخييل التاريخي الخاصِّ فيها الحضورَ الكولونياليَّ على البلاد العربية واستيهاماته اتجاهها، على اعتبار أنَّ الروايةَ (هي أكثر الأشكال الأدبيّة الجماليّة التي عبّرت عن التوسّعات الاستعماريّة وارتبطت بها وتزامنت معها. وكان ذلك الارتباط نتاج التفاعل الذي أخذ على السطح شكلاً متوازياً بين الظاهرتين الاستعماريّة والروائيّة)[5]، آخذين بنظر الاعتبار مقولة الفيلسوف الفرنسي بول ريكور الَّذي يرى (أن تأويلا سردياً للتاريخ أكثر صحة من تأويل قياسي)[6]، فكما كان للرواية الغربية دورٌ في تشكيل جزءٍ من المنظور الاستعماري بحسب المفكِّر إدوارد سعيد جاء الدور للرواية العربية لتفكيك تلك المُختلقات "المفتريات" السرديَّة[7].

تناولت روايةُ (أعدائي) للروائي السُّوري ممدوح عدوان فكرةَ الهيمنة البريطانية على البلاد العربية (الشام وفلسطين) وأفعالها الكولونيالية الَّتي عبَّدت الطريق للمجموعات الصهيونيّة لإعلان سيطرتها أو وجودها الرسمي على الأرض الفلسطينية وإزاحة السكَّان الأصليين عن وطنهم، وتجلَّى ذلك عقب هزيمة القوَّات العثمانية في القدس على يد القوَّات المُتحالفة بقيادة الإنجليز: **(دخل أللنبي المدينة راجلاً من بوابة حيفا. ومعه، إلى جانبه، الممثلان الفرنسي والطلياني. ووراءه أركانه. وفي الموكب أكثر من عشرين ضابطاً بينهم الكولونيل لورانس وحراس يمثلون القوات المشاركة: إنكليز وفرنسيين وطليان وإيرلنديين وسكوتلنديين وويلش ونيوزلنديين وأوستراليين. وبين الحشد القادم وراء العسكريين رجال دين من الأديان الثلاثة)**[8]، فجميعُ هذه الجنسيات المتعدِّدة اجتمعت لقتال عدوها العثماني؛ طمعاً في بسطِ الهيمنة على الجغرافيا، الَّتي أصبحت مكاناً غير واضح المعالم بالنسبة للآخر، باعتبار السيطرة العثمانية الطويلة الأمد والمُغلقة على البلاد العربية ومنها فلسطين، فـ(المؤكد بأن الشرق عند نهاية القرن الخامس عشر قد انغلق على نفسه، فكل شيء فيه بدا جامداً، من اقتصاد ومن بنى اجتماعية، ومن أنظمة سياسية مرة واحدة وإلى الأبد وهكذا بقي الرأي المسبق القائل بأن الشرق قد تحجر منذ بداية الهيمنة العثمانية)[9]، فَرَسَتْ الرغبة الكولونيالية وطموحاتها الاستيطانيَّة على مكانٍ له ثقله الديني ومحموله الطقسي الضارب في عمق التاريخ (القدس) لتكون هيمنتها بحسب الناقد رامي أبو شهاب (ذات مدلول سياسي يشير إلى عملية ارتبطت بالتحرك "الجيوسياسي" لبعض القوى للسيطرة والهيمنة على مناطق آهلة، فالجغرافيا هنا مركزية في تملك هذه الكلمة لمفهومها)[10]، وتصبح لحظة وقوف (الجنرال اللنبي) على أرضِ القدس فاصلةً بين حقبتين، تشبه لحظة دخول (نابليون بونابرت) لمصر وانحسار غيوم العثمانيين وطلوع شمس الكولونيالية الطاحنة، بقوَّات الجنرال (اللنبي) ومن خلفهِ ملكه (جورج الخامس) الذي منحه التخييل التاريخي صفةَ خادم الحرمين الشريفين[11]، أي صار هو المتحكِّم بحال الشعوب باعتبار لدى الأوربيين (إن استخدام الشرق هو استخدام فظ،

DOI:10.52113/uj05/022-15/1143-1154

فهذا الشرق لم يعد سوى طريدة، وهو فرصة عظيمة للأمير الأوربي الذي سيكون بمقدوره أن يكون هو الأول الذي يستولي عليه)[12].

غير أنَّ الروائي لم يسرْ خلف تفعيل اللحظة الكولونيالية الناقمة إنَّما حفَّز اشتغاله على وضع نهاية حوارية تجمعُ بين شخصيتين، إحداهما الضابط (عارف) قائد شرطة القدس النزيه عن سُكَّان الأرض الأصليين والجاسوس (إلتر ليفي) عن مستوطني الأرض الجُدد. فـ(عارف) وهو يخرجُ بسجينه الوحيد (إلتر) من المدينة (القدس) الَّتي غدت تحت السيطرة الكولونيالية إلى مدينة (دمشق) آخر المعاقل العربية للدولة العليَّة؛ للوفاء بتسليمهِ ومحاكمته على قضايا تجسسه، يقولُ: **(وأي بشر أنتم؟!/ وكيف لكم عين أن تعيشوا في هذه البلاد وتسمّوها بلادكم؟ وبين هؤلاء البشر الذين تسرقون لقمتهم ودمهم، وتسمّونهم أهلكم؟ أنتم في حاجة إلى عمل من هذا النوع الذي أفعله. رجل يجلب سجينه معه من القدس إلى دمشق لكي يريكم كيف يجب أن لا يتخلى الرجل الشريف عن مبادئه أو عن واجبه. ويريكم أن الدنيا لن تخلو أبداً من مدافعين عن شرفها)**[13]، وفي ذلك سيختتم ممدوح عدوان صفحة نهاية الاحتلال العثمانيّ وبدء المُعاناة الفلسطينيَّة نكبةً فادحة وشتاتاً ينهضُ بذاكرة تمتلئُ بالقتل وتدمير البيوت والمجازر واستلاب الأرض[14].

وينقلنا التخييل التاريخي في رواية (بيروت مدينة العالم) للروائي اللبناني ربيع جابر، إلى نهايات القرن التاسع عشر في بيروت، وبدء وصول خزائن القنصل الإنجليزي من أثاثٍ ومقتنيات إلى ميناء المدينة الكبير، وحلول الدهشة عند أهل المدينة من مقتنيات الآخر، الَّتي لم يُصدقها الناسُ بوصفها مخترعاتٍ جديدة عليهم، حيث يقولُ السَّاردُ: **(كان ذلك زمن الاكتشافات العجيبة والاختراعات التي لا يصدقها عقل. حين استقدم القنصل شاسود أثاثاً جديداً للبيت الذي بناه في حيّ الإفرنج تجمدت الحركة في سوق القطن. كل التجار، كل الصبية، كل المعلمين، تجمهروا في باب الميناء [...] لم يبقَ مخلوقٌ في السوق إلَّا وانحدر إلى باب الميناء ليرى بعينيه الاثنتين هذه الأشياء التي يحكون عنها والتي لم يُرَ مثلها في هذه البلاد قط)**[15]، فبين الجمود الحركي للبيروتيين وتكذيبِ عقلهم لما سيرونه جاءت الصدمة الكولونيالية بكامل طاقتها الاستعراضيَّة الَّتي أكَّدت جمود حياة المشرقيين ووقوف زمنهم، وعدم معرفتهم لما يدور في العالم الخارج عن حدودِ الجغرافيا، بل حتَّى عدم تخيُّل ما وصلت إليه دول أوروبا في عصرها الصناعي حيث وصلت الشعوب الأوروبية ونخبها الفاعلة إلى مطالبها في العدالة والليبرالية والديمقراطية والارتقاء الاقتصادي وأسواق غير كاسدة ومُقاربة الرخاء المعيشي، وصمود المجتمع المدني في وجهِ الأزمات المختلفة[16].

أمَّا حين حانت لحظة عرض بعض من مُقتنيات القنصل (المرآة) فكانت المواجهة المباشرة للمشرقيين في مدينة بيروت لكن ليس مع الآخر إنَّما مع ذواتهم، فيصفُ السَّاردُ المشهدَ: **(أسقط القنصل الغطاء فشعشع نورٌ. كان نوراً فظيعاً حاداً وقع في عيون الأهالي كالنار الحارقة. عبد الرحيم بن عبد الجواد أحمد البارودي رأى عندئذٍ أكبر مرآة في هذا العالم. كانت مرآة تحتشد بالبشر وبالوجوه المدهوشة. لكن الوجوه سرعان ما اختفت متراجعةً إلى هذا الجانب، وإلى ذاك الجانب. أفزعهم المنظر الواضح لوجههم التي لم يبصروها من قبل. أفزعهم النور الأقوى من نور الشمس العالية. و أفزعهم العالم المربك الذي ظهر كاملاً مكرراً في أعماق المرآة)**[17]، إنَّه تفصيل سردي للقاء الأنا مع ذاتها، أو استكشافها لذاتها، الَّتي جمدت في مكانها، وأُخذت في سُباتٍ عميق سلوكياً وعقلياً وانعكس ذلك على تردي الأحوال وزيادة التسلُّط والاستبداد، إزاء عالم كبير بدأ بتغييرٍ لمُختلف جوانب حياته وأفكاره وسلوكياته وتقاليده الزمكانيَّة، وتلمس طرق التحرُّر، فاستغلت تلك النواقص من قبل الكولونيالية وخلقِ عُقد نقص للإنسان العربي والإسلامي لا تنقشع، سيقومُ مراراً بمحاولة التخلُّصِ منها بالقياس مع الغرب

DOI:10.52113/uj05/022-15/1143-1154

مع تقديم فروض الطاعة، (فإذا كان المستعمرون لا عقلانيين، فالأوروبيون عقلانيون، وإذا كان المستعمرون بربريين وشهوانيين وكسولين، فإن أوروبا هي الحضارة بعينها، وشهوانيتها الجنسية تحت السيطرة، وخلقها المهيمن هو العمل الجاد. وإذا كان المشرق سكونياً، فأوروبا متطورة وسائرة إلى الأمام. والمشرق يجب أن يكون مؤنثاً حتى يمكن لأوروبا أن تكون مذكراً)[18]، كما عبَّر المفكِّر إدوارد سعيد.

وفي رواية (الوليمة العارية) للروائي العراقي علي بدر كانت لحظة دخول الهيمنة الكولونياليَّة على بغداد عن طريق الجيش الإنجليزي بعد انكسار راية الجيش العثماني، تُخالف جميعَ ما نُسجَ حول مدينة الحكايات وليالها مع شهريار وشهرزاد، إذ أجليت صورة واقعها المرير الَّذي وصلت إليه خلال قرون الاحتلال العثماني الطويل، يقولُ السَّارد العليم الخارجي: (**من غير شك أن بغداد الواقعية لم تكن نسبة لمود ولا تومسن ولا هوكر ولا أي جندي إنكليزي هي التراب الذهبي الذي صورته ترجمة ريتشارد برتن في ألف ليلة وليلة، كما أنها لم تكن نسبة للهنود المسلمين الذين جاءوا مع الجيش المحتل هي عاصمة المسلمين التي طالما حلموا عبر ما كتبه عنها سيد أحمد خان في كتابه (غرة العباد في معرفة بغداد) الذي طبعه في كلكتا في القرن الثامن عشر، إنما مدينة أخرى، مدينة خربتها بغال الجندرمة، ومدافع المحتلين، والأوبئة، والحروب، والفيضانات، ولا بد أنهم أدركوا كم هي محظوظة هذه المدينة التي صنعتها الأساطير، مدينة صنعتها الأوهام والأحلام والأساطير الكاذبة، وصورتها أقرب إلى الخرافة من حقيقتها**)[19]، فكان أن حمَّلَ التخييلُ المسؤولية التاريخية للعثمانيين في التدهور المروعة الَّذي أصاب المدن الكبرى العربيَّة وشوَّه سجلَّها الحضاري ومنجزها المعرفي، لتختم هذه الرواية فصولها على مشهد فرض الغرامات من قبل الجيش الإنجليزي على الأفراد الَّذين يخالفون القواعدَ الصحيَّة للتغوُّط في الطرق العامَّة، في إشارة لماهيَّة المجتمع العراقي الَّذي تكسَّرت على صخرته استيهامات الجيش الإنجليزي.

كذلك في رواية (سلطانات الرمل) لروائية السورية لينا هويان الحسن، كانت الصحراء العربية - صحراء سوريا حيث البدو – هدفاً كولونيالياً للدول الكبرى لاستكشافه بيئياً وسُكَّانياً وموارد: (**اندس بين فرنسا وألمانيا وروسيا تلك الدول التي كانت تنافس بريطانيا على مقاليد النفوذ في تلك المنطقة التي تفهم الأساطير باعتبار ردائها موشَّى بذاكرة ألف ليلة وليلة، أناس يركبون الخيول وعباءاتهم مسدلة وفي حياتهم المردة والجن والقدر**)[20]، فهذه الدول تتفقُ مع التصوُّر المُتخيَّل لديهم عن الشرق، وأنَّ ما وصلهم من حكايات الليالي العربية هو واقعٌ يعكسُ حياة المسلمين وأوطانهم، وأنَّ سلوكيات مجتمع ألف ليلة وليلة هو عينه سلوكيات المجتمع في صورته الفعليَّة، وكما يدُّون الناقد المغربي جمال الدين بن الشيخ قولَهُ: (ليست "الليالي" صورة لواقع ضاع نهائيا، ولا دوّن هوية غير قابلة لأن يكشف عنها. كما أنها ليست انعكاسا لهذا العصر أو ذاك [...] وهي أيضا ليست تقليدات شاحبة لأهواء فانية، أي تجميعا لبعض الذكريات الحائلة التي نسترجعها كي نستحضر، من جديد، مشهد التراجيديا الذي أقصي من حياتنا)[21].

فيما أوجز التخييل التاريخي في (سلطانات الرَّمل) الاستيهام الكولونياليَّ عبر أحد الضبَّاط المسنين وهو يصوِّر – بلطفٍ - شخصيةَ البدوي بالعنف مع مفردات طبيعته وحياته، وكأنَّه أراد القولَ أنَّ سلوكات المجتمع البدوي هي أقرب للهمجيَّة والحيوانيَّة، باعداً عن عقله نوعيَّة البيئة الَّتي يسكنها البدوي وقوانين تلك البيئة القاسية حدَّ الإقصاء من الوجود، يقولُ السَّارد: (**بعد رحلة دامت حوالي الثمانين يوماً خرج الضابط العجوز بآراء حاسمة بشأن البدو الذين كان معجباً بهم وبنفس الوقت متعجباً منهم، قال: "البدوي هو ابن الطبيعة العاق" ربما وصل إلى تلك النتيجة وهو يستهجن من مرآى "مخيلف" وهو يثبت بوز بارودته الموسكوفية بين أذني الفرس "فرحة"**

DOI:10.52113/uj05/022-15/1143-1154

ويطلق النار على أرنب يقبع عند صخرة قريبة دون أن تتحرك فرحة "قيد أنملة" عندها يقول الضابط بيأس: "كم هو عنيف الحب الذي يميز حياة البدو الصعبة")[22]

أمَّا الاستيهام الكولونيالي تجاه مصر فكان مديداً في التناول التخييلي كما نقاربه في روايات عدّة مثل رواية (الأزبكيَّة) للروائي المصري ناصر عراق، حيث تنقسمُ الرؤية الكولونيالية الفرنسية على قسمين خلال وجودها في "مصر" خلال القرن التاسع عشر بعد حملة (نابليون بونابرت) الشهيرة (1798 – 1801م)، إذ يمثِّل الضابط (فرتراي) الرؤية المُتخيلة عن الشرق، ونوعيَّة المجتمع وحجم وعيه الجمعي، أمَّا الرسَّام (شارل) فيمثِّل اتجاهاً إيجابياً في رؤية الآخر للمشرقيين، وأمكنتهم، ومستوى تحضُّرهم. فيبتدئ التخييل التاريخي لرواية (الأزبكية) بلحظة الصدمة الكولونيالية حين الوصول لمصر إذ يُلاحظ شغف تكرار هذه اللحظة كما رصدنا في المتن الروائي المدروس، إذ سُجِّلت تلك اللحظة الكولونيالي من خلال منظورِ الضَّابط الفرنسي: (**بُهت فرتراي حين وصل في سيره المتمهل إلى مشارف جامع الأزهر، قلب القاهرة النابض كما لقَّنوه العلم في باريس، [...] فلا عابر سبيل، ولا شيء يشي بأن هذه هي مدينة السحر كما قال بونابرت في خطبته في عرض البحر قبل النزول إلى البر في أبي قير**)[23]، إذ وضعَ الضَّابط وزرَ ذلك النسيج التخييلي على قائد الحملة الفرنسيَّة على مصر، المُحرِّر لها من ظلم حكَّامها المماليك، فضلاً عن فتح المجال الاقتصادي للتجارة الفرنسيَّة بدلاً عن التجارة الإنجليزيَّة[24]، وهذا ما يمكن أن نبني عليه المعنى الغائي من الوجود الكولونيالي للجمهوريَّة الفرنسيَّة أنَّه ليس لترميم حضارةٍ خربة، ومجتمعٍ يُعاني الإهمالَ، ويحملُ تركةً ثقيلةً من الجهل والتخلُّف على امتداد قرون عدَّة، بل تبدو الغاية من ذلك في إيجاد تفوُّق كولونيالي على القوَّة الأوروبيَّة الموازية لها في المنطقة "التاج البريطاني"، يقولُ الضَّابطُ: (**حملتنا تضم نحو أربعة وخمسين ألفاً من الضباط والجنود والإداريين والبحارة والعلماء، جئنا على متن نحو أربعمائة بارجة وفرقاطة وسفينة، وعندما ننجح في السيطرة على مصر تماماً، وهذا أمر بات قريباً جدًّا، سيصبح لنا شأن كبير في العالم بعد أن نقضي على الإنجليز ونقطع عليهم الطريق إلى الهند**)[25].

وحتَّى يتمُّ بسط الهيمنة على الوعي الجمعي للمصريين، يتمادى التأكيد على حاجة المصريين الشديدة للقدرات الخلَّاقة للفرنسيين، وذلك عبر عدد من كبار شخصيات الحملة العسكريَّة، كما في شخصية (فيفان دينون) وهو أحد أشهر رسَّامي الجمهوريَّة الفرنسية، فضلاً عن الحملة العسكريَّة، وله وفق التخييل التاريخي نفسٌ استعلائي نحو الآخر، إذ يصف المصريين (**كالقطيع الهائج.. لا يملكون فكرًا ولا تصورًا عن المستقبل، ولا يحلمون بمجتمع أفضل، وجُلُّ ما يشغلهم هو مستقبلهم بعد الموت، أي الجنة والنار في الدار الآخرة**)[26]، وهذا انعكاسٌ لجوهر "نظرية التدهور" التاريخي لشعوب لها حضورها الفاعل الكامن في عمقِ الحضارات الكبرى "الكلاسيكية" وحصل لها ما حصل نتيجة أزمات حكمٍ أو كوارث طبيعية أدَّى إلى تقهقرها الإنساني والعمراني [27]، وهو يُقارب القراءة التحليلية الَّتي طرحها المُفكِّر الأمريكي (خوان كول) المختص في شؤون المشرق عبر كتابه (مصر تحت حكم بونابرت) إذ أشار لرسوخ مبدأ التدهور الحضاري لدى أعضاء الحملة الفرنسيّة؛ في اتجاه منطقي للتفريق بين ما هو تخييلي في وعيهم وما هو واقعي صدم تلك الصورة المُتشكِّلة[28]، وهذا ما يعزِّزه قول أحد علماء الحملة: (**لقد أخبرني عالمنا الجليل مونج أنه إذا استطعنا جلب عشرين ألف أسرة فرنسية ليستوطنوا هنا فيلقنوا المصريين الجهلة المتخلفين مبادئ العلوم والآداب والفنون فستصبح مصر في ظرف خمس سنوات أجمل مستعمراتنا على الإطلاق**)[29]، وهذا تأكيد على زرع عقدة النقص في الهويَّة العليا لأيِّ شعب وأيِّ حضارة، وكما تنقلُ الباحثة الهندية في الخطاب الكولونيالي (آنيا لومبا) القولَ: (الشعب المستعمَر على أنه ليس أولئك الذين قد سُلب عملهم بل

DOI:10.52113/uj05/022-15/1143-1154

أولئك الذين تم خلق عقدة نقص في أرواحهم جراء موت ودفن أصلهم الثقافي المحلي)[30].

أمَّا الاتجاه الإيجابي في الحملة فتمثَّل في رسّام فرنسي تنويري يدعى (شارل)، مُقيم في القاهرة، يحبُّ مصر وأهلها، ويُحمِّلُ الفرنسيين والمماليك كلَّ البؤس الحاصل في مصر، ويرى أنَّ المصريين شعب قوي، لكنه منصاع بغباوة للمشايخ، والتسليم للخزعبلات والخرافات، وهو من ضخّ الأفكار التنويريّة لشخصية الرواية الرئيسية (أيُّوب السَّبع) نسَّاخ الكتب، ونمَّى بذرة وعيه.

جاء مكوث الرسَّام (شارل) سنوات طويلة في مصر ليكتشف مجتمعها عن كثب، حيث كان يرى في القاهرة وسكّانها قيمة إنسانيَّة لها الحقُّ في أنْ تقودَ نفسَها بنفسِها وتواكبَ المسار المعرفي للعالم الجديد، يقولُ (شارل): (**إنهم شعب فولاذي.. لكن يا خسارة.. لو يتعلمون القراءة والكتابة ويخوضون في المعارف الحديثة لتفوقوا علينا نحن الفرنسيين بيسر وسهولة. للأسف إنهم أسرى الخزعبلات والخرافات**)[31]، إذ يضع مؤشره النقدي على مقوِّمات الجهل في الشخصية المصريَّة الَّتي هي من الصميم البايولوجي للمجتمع وليست من خارجه، فحينما يُصحِّح المجتمع انتكاساته الداخلية وعلله سيكون من الأسهل عليه إفهام الآخر حقيقة كيانه السليم وهويَّته غير المُخترَقة، فبسبب هذه المقوِّمات الخاصَّة بالجهل (وضعت أوربا القرن التاسع عشر والعشرين أردأ مجموعة من الصور عن الشرق والتي لم يرفع عنها الغبار أبداً رغم الافتتان الذي كان يحركه الشرق بوصفه قوة غرائبية للمخيلة الغربية. وأوربا الكولونيالية بأجمعها تعشق وتحتقر الشرق في العناق التملكي ذاته)[32].

أمَّا مصر الملكيَّة فيضعُ التخييل التاريخي في رواية (نادي السيَّارات) للروائي المصري علاء الأسواني، ثقلَ الكولونيالية المادِّي للتدَّخل في الشؤون المصريَّة أيَّام حكم (الملك فاروق) عن طريق سُلطة ظاهريَّة للملك وسُلطة مُستترة تتمثَّل بمدير النادي (جيمس رايت) الَّذي يُمرِّر من خلالهِ خطاباً عنصرياً هادراً ضدَّ المصريين، على الرغم من الاستفادة الماليَّة والامتيازات الكثيرة من ثروة مصر (**المصري لا يعمل أبدا إلا طلبا للثواب أو خوفا من العقاب، الرغبة الذاتية في الإتقان لا وجود لها في العقلية المصرية، عندما يُحْسِن المصري أداء عمله يكون الفضل لمديره الأوربي الذي عرف كيف يروضه**)[33]، فمع وجود دولة لها كيانها المُستقل غير أنَّ (مستر رايت) لا يرى في موظَّفيها المحليين كفاءةً، بل يضع الميزة في العقل المدبِّر الإنجليزي المُنتدب لإدارة الموظفين، مع إقصاء شديد للشخصيَّة المصريَّة الَّتي لا يرى فيها سوى الكسل والاتكال، ذلك كلَّه وفق لائحة تخصُّ النظام الداخلي للنادي، تحرمُ موظَّفيه المصريين من حقِّهم التقاعدي بعد انتهاء خدمتهم؛ بخلافِ نظام القوانين المصريَّة وقتها[34].

ولا يتوقَّف (مستر رايت) عند تخوم الانهمام بالحطِّ من الشخصيَّة المصريَّة، إنَّما يتعدَّاهُ إلى تخوم اللغة العربيَّة، محاولاً الانتقاص منها، وجعلها سبباً آخر في جمودِ العقلِ المشرقي، وتراجعِ زمنِ حضارته، إذ يقولُ في استفهام تهكمي: (**عشت في مصر عشرين عاما، ومع ذلك كثيرا ما يبدو لي سلوك المصريين غريبا، لا أفهم مثلا: لماذا يتمسك المصريون باستعمال لغة معقدة وميتة مثل العربية الفصحى؟**)[35]، وما هذا الهجوم الكولونيالي على اللغةِ إلا محاولةً لإعلان العجز في الهويَّة الثقافية المصريَّة / العربية، وأنَّ التفوّق الغربي هو عائد لوجود لغة متفوِّقة يُدار بواسطتها العالم وتُمرَّر من خلالها الخطابات الكولونياليَّة كافَّة، أو كما يُعبِّر الفيلسوف الفرنسي "جاك دريدا": (لا توجد عنصرية دون لغة)[36]، وهذا ما كان يراه (رايت) بأنَّ عجز اللغة العربية عن تطوير نظامها هو انسدادٌ تاريخي لحضارة هي وفق التصوُّر الكولونيالي وخطاباته لا تستطيع إضافة شيء إيجابي للمنجز الجديد للعالم، فاللغة ليست وسيلة تعبير أو تواصل فحسب، إنما هي تشكيل ثقافي شديد الخصوبة والحساسية، وتبعا لذلك، يعمل الغرب على تشويه ثقافة الإنسان عبر إقصاء لغته، وتحويلها إلى مجرد كائن منقرض جاف، وغير حيوي ومهجور)[37].

DOI:10.52113/uj05/022-15/1143-1154

بالمقابل وضع التخييل التاريخي طرفاً موازياً لـ(مستر رايت) من الثقافة الغربية ذاتها هي صديقته الحميمة (أوديت)، الَّتي تقف ثقافياً بالضدِّ من رؤى (رايت) العنصريَّة، فتدخل في مشاهدها معه في نقاشات حول الطرح الكولونيالي الموجَّه للمصريين: (-**إذا ضربت أحد مرءوسيك في بريطانيا سوف تُحاكَم وتُسجن./ زفر مستر رايت وقال بزهق: - لسنا في بريطانيا، أوديت مشكلتك أنكِ تعيشين بين السحب، أنت غير قادرة على رؤية الو اقع وهذا أمر مؤسف، قلت لكِ من قبل إن المصريين مختلفون عن الغربيين./ – هل تعتقد أن الخادم البريطاني يستحق أن نعامله باحترام بينما الخادم المصري يجب أن يُضرب؟/ ظل وجه مستر رايت صامتا، تجرع ما تبقى من الكأس دفعة واحمر وجهه**)[38]، فكان أن قلبَ (مستر رايت) رؤية (أوديت) الحجاجيَّة الواقعيَّة إلى نوع من الرومانسيَّة المُتخيَّلة، الَّتي لا تستند لخبرة ملموسة، يظنُّ أنَّه يمتلكها، ومن خلالها كانت الهيمنة الأجنبية عن طريق الغزو العسكري والمعرفي أداتان للاعتداد بالنفس وتحقير الآخر.

وكما فعل التخييل التاريخي في رواية (الأزبكية) بأنْ جعل علاقة التقارب الإنساني ممكنة بين الغرب والشرق، كذلك تمَّ نسجه في رواية (نادي السيارات) حين التقت مصائر (كامل همام) مع (ميتسي) ابنة (مستر رايت) الشابة الطموحة الَّتي تعشق مصر، وتعلَّمت لأجل ذلك اللغة العربية على يد (كامل)، حتَّى نشأت بينهما رابطة حبٍّ غير منسوجة النهاية رغم بادرة (كامل) بخطبتها، في إشارة لمحاولة نشوء مصير إنساني واحد دون تفرقة ودون عنصريَّة، ودون إبداء الاحتقار من طرف لآخر.

ويستمرُّ ضخَّ المخيالُ الغربيُّ المُستمدُّ من حكايات الليالي العربية في تكوين صورةٍ توسِّع الفجوة في مخالفةِ الواقع وحقيقته، كما في رواية (شوق الدرويش) للروائي السُّوداني حمورُّ زيادة، لاسيما لدى الشخصية الرئيسة (ثيودورا) الراهبة اليونانية القادمة من مدينة الإسكندرية مع بعثة تبشيرية إنجليزية إلى مدينة الخرطوم، فكان لديها تصوُّرٌ استيهاميٌّ مُسبقٌ مرتكزٌ في وعيها عن أحدى بلاد المشرق وسحرها، يقولُ السَّارد العليم: (**تنظر إليهم ثيودورا من مكانها أعلى الجمل فتفكر إنها أميرة عباسية تسافر بين بغداد والكرخ. ربما هي ابنة خليفة مسلم، يسافرون بها عروساً إلى ملك عظيم يتزوجها. ما رأت صحراء كهذه. إنما قرأت عنها في الكتب. وهي أعظم من كل خيالاتها**)[39].

أمَّا صورة "السُّود" لدى أفراد البعثة فكانت تزدحمُ بتكوين بربري التصرُّف ذي رائحة لا تُحتمل، ولا يملك من صفات الإنسانيَّة سوى القليل، فيما يتراص المعنى الحضاري في الإنسان الأوروبي فهو يملك وسائل التمدُّن وأدوات المعرفة الَّتي صيَّرته - وفق هذه التبريرات - على قمَّة العالم الحديث: (**دورتا أخبرتها ليلاً في القمرة: - رائحتهم قبيحة عطنة. رائحة ثقيلة كفاكهة عفنة. أمّا عرقهم فسام./ ثم تضيف حالمة: - ليس فيهم سحر المصريين ولطفهم** [...] **امها لاسكارينا الحسناء، قالت لها وهي تقرا خطابات الأقارب والمعارف من الخرطوم لتعلّمها منها ما ستقدم عليه: - طبعهم الغدر. متوحشون، لكنهم كحيوانات المزرعة. فكوني أنت الراعي لخراف الرب السوداء**)[40]، إذ كان هدف البعثة فتح مدرسة للتبشير بالمسيحيَّة فضلاً عن التعليم الأوَّلي، في مكان يُعتبر مجهولاً، ومجتمعٍ غامض يغطُّ في سُبات مديد، يحتاجُ إلى تعاطفِ الآخر؛ ليصحو من سُباته، وتحصلُ لدى الغربي طمأنةً اتجاه المشرقي، ولهذا يبدو (إخراج الشرق من المجهول إلى المعلوم له غرض إذن هو أن يريح ويطمئن، بالإضافة إلى أنه يمنح، فوق ذلك، إحساسا بالقوة. والشعور بالخوف هو الذي يثير لدى الإنسان الغربي غريزة السيطرة ويهيجها. وكما يقول نيتشه، فإن: "غريزة الخوف هي التي تحثنا على أن نعرف")[41].

فيما يدخلُ الفعل الكولونيالي لمجتمع الخليج العربي كما في رواية (الظهور الثاني لابن لعبون) للروائي الكويتي إسماعيل فهد إسماعيل، عبر شخصية (جان دارك) البريطاني المُتقِن للغة العربية منذ نشأته في مدينة مسقط، والمُكلّف لاحقاً للعمل

DOI:10.52113/uj05/022-15/1143-1154

صيدلانياً في المستشفى الأمريكي في الكويت الَّتي كانت تُسمَّى "إمارةً" في بدايات العقد الثاني من القرن العشرين، وعبر شخصية (الكابتن شكسبير) المندوب السامي البريطاني في السفارة البريطانية، إذ تركَّزَ جهدها الكولونيالي على مُراقبة أوضاع المجتمع والتجسُّس على دواوين أعيان المدينة، لاسيما في مراقبة الأحداث المتشدِّدة من السلفيين على زوَّارِ مرقد الشَّاعر (محمَّد بن حمد بن لعبون). ، كما في الحوار بين (جان دارك) والمندوب السَّامي حول قتل مرتادي مرقد (ابن لعبون): (**المعنى المضمن أن أتلمّس موقف الكويتيين مما حدث، معرفة طبيعة مشاعرهم نحو الأجانب عامة بعد تصريحات مشايخ دين محددين، استجبت له. لن أدخر وسعي. شعّت عيناه برضاه. انتظر دقيقة. غاب ثم عاد حاملا زجاجة نبيذ لم تمس. مؤونتك لليلة القادمة. وسط الكرم النبيذي لا يسعني إلا أن أنفذ كل الذي يأمرني به. أمهلني ثلاثة أيام. قلتها بصيغة الوعد، أضفت. آتيك بأخبار ديوان بن فرج**)[42]، فعلى الرغم من أنَّ الحدث في مرقد (ابن لعبون) شأن داخلي وجنائي بحت غير أنَّ ذلك لم يمنع السفارة البريطانية من تكليف عميلها (جان دارك) بالقيام بمهمَّات تجسُّسيَّة؛ لمسك خيطٍ في الأحداث، واللعب فيه، وحتَّى صنع تيَّار مُعارض لتلك الجماعات المُتشددة؛ لخلق نوع من القوَّة الَّتي تتحكَّمُ فيها وتستخدمها في تعزيز مصالحها الكولونيالية وتدابيرها أنَّى شاءت وتغيير الموازين، وإنْ تطلَّب تقديم أثمان باهظة كما في الطلب من عميلهم (جان دارك) تغيير ديانته المسيحية والدخول إلى الإسلام؛ ليلقى قبولاً أكثرَ سعةٍ لدى المجالس والدواوين، وترسيخ وجوده بين طبقات المجتمع الكويتي دون إثارة انتباه حوله أو ريبة في تنقله وسطهم، على الرغم من وجود شيء من ذلك الشَّك الآمن بحسب عمله في المستشفى الأمريكي، يقولُ (جان دارك) الَّذي تحوَّل إلى (محمَّد دارك): (**وجه إمام المسجد حديثه إليّ. عرفت من الأخ بن فرج أنك إنجليزي تعمل لدى الأمريكيان بما يعني أنك تبقى بعد إشهار إسلامك محاطا بالعديد من المسيحيين**)[43].

كذلك مكان السفارة الأمريكية ووجودها في الكويت كان مُقتصراً على قضية التبشير بين الأفراد المُقيمين من الجنسيات غير الكويتية، لكنَّ هذه الحملة التبشيريَّة في الكويت لم تعطَ مساحة مهمَّة على امتداد صفحات الرواية ذات الـ430 صفحة؛ قد يكون إشارة لقلَّة هذا النشاط في تاريخ السفارة الأمريكية داخل الكويت، واقتصار الحدث السردي على تبيان الخطأ الفادح الَّذي وقعت فيه تلك الحملة، حين تمَّ قتل (محمَّد غلام) الموظَّف في المستشفى الأمريكي أحد الَّذين واظبوا على حضور الجلسات التبشيرية ومن ثمَّ انتمى للديانة المسيحية، دافعاً حياته ثمناً للمغامرة الكولونياليَّة بالتبشير. يحاوره (جان دارك) للتخفيف من تهديد السلفيين له: (**ستدخل الجنة. تنبّه أضاف. بإذن الله. ضحكت، قلت بمنحى دعابة. نلتقي هناك. انطفأ فرحه في عينيه. لن يكون لي نصيب بالجنة. من أين لك قناعتك هذه. المعصية التي ارتكبتها بحضور دروس التبشير**)[44]، ورغم معرفة السفارة الأمريكية بوصول التهديد المباشر لـ(محمَّد غلام) غير أنَّهم لم يحاولوا إبداء المساعدة وإنقاذه، لينتهي رأسه مُنفصلاً عن جسده، ومحشوراً في مرقد (ابن لعبون)؛ بوصفه مرقداً لشاعرٍ هو في رأي المتشدِّدين خارج عن ملَّة الإسلام: (**صقر، استطرد. هم يخططون لإثارة فزع العامة تمهيداً لإذكاء نار الفتنة بالربط ين مرقد شاعر مارق كما ينعتونه ووجود رأس مرتد عن الإسلام، لينبري أحد مشايخهم مُدعيا تلك إشارة دالة على اقتراب يوم الحساب**)[45].

نخلصُ ممَّا مرَّ اشتغاله بأنَّ الاستيهامات الكولونياليَّة كانت اتجاهاً سائداً في غزو الأمكنة المهمة، المُتشكلة صورتها عن طريق الكتابات الاستشراقيَّة الَّتي نمَّطت صورة الشرق العربي، وجعله يدور في مدارات الغواية، حتَّى مجيء لحظة الصدمة بالواقع المُغاير لما تمَّ تخييله، فضلاً عن انبهار أبناء الشرق بوجود عالم آخر، عالم أكبر متطوِّر وقوي، ويسابق الزمن لتجديد وقائع حياته.

DOI:10.52113/uj05/022-15/1143-1154

نتائج البحث

- أظهر العيّنة الروائية المدروسة إنَّ الرجل الاستعماري كان لديه تصوَّراً متخيَّلاً عن أمكنة الشَّرق الَّتي وطأها لأول مرَّة.

- كانت للمدوَّنات الخاصَّة ببعض المستشرقين كفيلة بتشكيل نمط مُعيَّنٍ للمجتمع الشرقي، وغالباً من كان هذا النمط لا ينتمي لواقع الشرق وحقيقته.

- قدَّمت بعض الروايات شخصياتٍ كولونياليّة تسقط نهمها الجنسي على نساء المجتمع الشرقي، دون المعرفة بطبيعة المجتمع، منساقة وراء ما وضعته النصوص الاستشراقيّة حول النساء في الشرق.

- أظهرت النصوصُ الروائية الصدمة الحضاريّة للمشرقيين الَّتي تجسّدت بوصول الآخر الغربي من جيش وبعثات استشراقيّة، وهي مُجهزة بأحداث وسائل عصرها الآليّة، مظهرةً ما وصل إليه الشرق من تراجع إنساني وثقافي مريرين جعل منه نسخة للسخرية وللتملّك.

الهوامش:

(1) موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية، ترجمة: هناء الجوهري، المركز الثقافي للترجمة، القاهرة، ط2، 2014، ص 59. ويُنظرُ: مفاتيح اصطلاحية جديدة، ص 63، 64.

(2) نحو نظريّة للثقافة: نقد التمركز الأوروبي والتمركز الأوروبي المعكوس، سمير أمين، معهد الإنماء العربي، ط1، 1989، ص 90.

(3) في نظريّة الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، آنيا لومبا، ترجمة: محمّد عبد الغني غنوم، دار الحوار، اللاذقيّة، ط1، 2007، ص 117.

(4) الرَّد بالكتابة: النظريّة والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، بيل أشكروفت وآخرون، ترجمة: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، آذار 2006، ص 292.

(5) التخيّل التاريخي: السّرد، والإمبراطوريّة، والتجربة الاستعماريّة، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2011، ص 260.

(6) الزمان والسّرد: الحبكة والسّرد التاريخي ج1، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي وَفلاح رحيم، مراجعة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، كانون الثاني 2006، ص 356.

(7) يُنظرُ: الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط4، 2014، ص 138، 139. ومصطلحي (المفتريات والمختلقات) من توظيفات كمال أبو ديب في ترجماته لبعض كتب إدوارد سعيد.

(8) أعدائي، ممدوح عدوان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، ط3، 2016، ص 553. [صدرتْ الطبعة الأولى العام 2000].

(9) الشرق الخيالي ورؤية الآخر: صورة الشرق في المخيال الغربي الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسّط، تيري هنتش، ترجمة: مي عبد الكريم محمود، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، ط1، 2006، ص 127.

(10) الرَّسيس والمُخاتلة: خطاب ما بعد الكولونياليّة في النقد العربي المعاصر النظرية والتطبيق، رامي أبو شهاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2014، ص 46.

(11) يُنظرُ: أعدائي، ص 477.

(12) الشرق الخيالي ورؤية الآخر، ص 195.

(13) أعدائي، ص 571.

(14) يُنظرُ: في الممر الأخير: سرديَّة الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كولونيالي، رامي أبو شهاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2017، ص 44.

(15) بيروت مدينة العالم ج1، ربيع جابر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، وَدار الآداب، بيروت، ط2، 2006، ص 230. [صدرتْ الطبعة الأولى سنة 2003].

(16) يُنظرُ: عصر رأس المال (1848 - 1875)، إريك هوبزباوم، ترجمة: فايز الصُيّاغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، كانون الثاني 2008، ص 68. ويُنظرُ: أثر الاستشراق في الفكر العربي عند: إدوارد سعيد - حسن حنفي - عبد الله العروي، نديم الجندي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2005، ص 333.

(17) بيروت مدينة العالم ج1، ص 234، 235.

(18) نقلاً عن: في نظريّة الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ص 58.

(19) الوليمة العارية، عليّ بدر، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2005، ص 282.

DOI:10.52113/uj05/022-15/1143-1154

(20) سلطانات الرمل، سيرة أشهر فاتنات بادية الشام بين 1880 و1950، لينا هويان الحسن، الهجَّان للطباعة والنشر والتوزيع، البصرة، 2019، ص 206. [صدرت الطبعة الأولى العام 2009].

(21) ألف ليلة وليلة أو القول الأسير، جمال الدين بن الشيخ، ترجمة: محمَّد برادة وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، سلسلة المشروع القومي للترجمة 50، القاهرة، 1998، ص 21.

(22) سلطانات الرمل، ص 170، 171.

(23) الأزبكية، ناصر عراق، الدار المصريَّة اللبنانيَّة، القاهرة، ط2، 2015، ص 24. [صدرت الطبعة الأولى في مايو 2015].

(24) يُنظرُ: تاريخ البحر الأحمر من موسى إلى بونابرت، روجيه جوانت داجنت، ترجمة: حسن نصر الدِّين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013، ص 375.

(25) الأزبكية، 43. يُنظرُ: ص 47.

(26) م ن، ص 85. ويُنظرُ: ص 87، 105، 226.

(27) يُنظرُ: تاريخ ما قبل التاريخ، عبد الله حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2014، ص 65، 66.

(28) يُنظرُ: مصر تحت حكم بونابرت: غزو الشرق الأوسط، خوان كول، ترجمة: مصطفى رياض، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013، ص 90.

(29) الأزبكية، ص 124، 125. ويُنظرُ: ص 129.

(30) في نظريّة الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ص 37.

(31) الأزبكية، ص 204.

(32) الشرق الخيالي ورؤية الآخر، ص 258.

(33) نادي السيارات، علاء الأسواني، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2013، ص 182. ويُنظرُ: ص 268، 441.

(34) يُنظر: م ن، ص 196، 197.

(35) م ن، ص 285.

(36) الاستشراق جنسياً، إرفن جميل شِك، ترجمة: عدنان حسن، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003، ص 242.

(37) الرَّسيس والمُخاتلة، ص 105.

(38) نادي السيارات، ص 267.

(39) شوق الدرويش، حمّور زيادة، دار العين للنشر، القاهرة، ط6، 2015، ص 142. [وقد صدرت طبعتها الأولى في العام 2014].

(40) م ن، ص 132. ويُنظرُ: ص 159.

(41) المعرفة والقوّة: نحو طريقة علمية للهيمنة، جمال مفرّج، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009، ص 33.

(42) الظهور الثاني لابن لعبون، إسماعيل فهد إسماعيل، نوفا بلس للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 2016، ص 96. [صدرت طبعتها الأولى العام 2015] ويُنظرُ: ص 105، 135، 288، 413.

(43) م ن، ص 131. ويُنظرُ: ص 111، 151.

(44) م ن، ص 130.

(45) م ن، ص 144. ويُنظرُ: ص 175، 388.

مصادر البحث ومراجعه

المصادر/ الروايات

- الأزبكية، ناصر عراق، الدار المصريَّة اللبنانيَّة، القاهرة، ط2، 2015.

- أعدائي، ممدوح عدوان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، ط3، 2016.

- بيروت مدينة العالم ج1، ربيع جابر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، وَدار الآداب، بيروت، ط2، 2006.

- سلطانات الرمل، سيرة أشهر فاتنات بادية الشام بين 1880 و1950، لينا هويان الحسن، الهجَّان للطباعة والنشر والتوزيع، البصرة، 2019.

- شوق الدرويش، حمّور زيادة، دار العين للنشر، القاهرة، ط6، 2015.

- الظهور الثاني لابن لعبون، إسماعيل فهد إسماعيل، نوفا بلس للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 2016.

- نادي السيارات، علاء الأسواني، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2013.

- الوليمة العارية، عليّ بدر، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2005.

المراجع

DOI:10.52113/uj05/022-15/1143-1154

- الاستشراق جنسياً، إرفن جميل شِك، ترجمة: عدنان حسن، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003.

- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير، جمال الدين بن الشيخ، ترجمة: محمَّد برادة وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، سلسلة المشروع القومي للترجمة 50، القاهرة، 1998.

- تاريخ البحر الأحمر من موسى إلى بونابرت، روجيه جوانت داجنت، ترجمة: حسن نصر الدِّين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013.

- تاريخ ما قبل التاريخ، عبد الله حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2014.

- التخيّل التاريخي: السّرد، والإمبراطوريّة، والتجربة الاستعماريّة، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2011.

- الثقافة والإمبرايالية، إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط4، 2014.

- الرَّد بالكتابة: النظريّة والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، بيل أشكروفت وآخرون، ترجمة: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، آذار 2006.

- الرَّسيس والمُخاتلة: خطاب ما بعد الكولونياليّة في النقد العربي المعاصر النظرية والتطبيق، رامي أبو شهاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2014.

- الزمان والسّرد: الحبكة والسّرد التاريخي ج1، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي وَفلاح رحيم، مراجعة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، كانون الثاني 2006.

- الشرق الخيالي ورؤية الآخر: صورة الشرق في المخيال الغربي الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسّط، تيري هنتش، ترجمة: مي عبد الكريم محمود، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، ط1، 2006.

- عصر رأس المال (1848 - 1875)، إريك هوبزباوم، ترجمة: فايز الصُيّاغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، كانون الثاني 2008.

- في الممر الأخير: سرديَّة الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كولونيالي، رامي أبو شهاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2017.

- في نظريّة الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، آنيا لومبا، ترجمة: محمّد عبد الغني غنوم، دار الحوار، اللاذقيّة، ط1، 2007.

- مصر تحت حكم بونابرت: غزو الشرق الأوسط، خوان كول، ترجمة: مصطفى رياض، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013.

- المعرفة والقوّة: نحو طريقة علمية للهيمنة، جمال مفرّج، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009.

- موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية، ترجمة: هناء الجوهري، المركز الثقافي للترجمة، القاهرة، ط2، 2014.

- نحو نظريّة للثقافة: نقد التمركز الأوروبي والتمركز الأوروبي المعكوس، سمير أمين، معهد الإنماء العربي، ط1، 1989.

Abstract

The research aims to monitor how the Arabic novel published between 2000-2019deals with the topic of “colonialism” and the fantasies it formed about the other “about the Orientalses” as a result of a group of imaginary visions produced from major literary texts that images formulated that do not belong to the eastern reality except with specific temporal limits. As well the research monitors the way in which the image of the colonial man advanced and his treatment

DOI:10.52113/uj05/022-15/1143-1154

within the countries of the East, as a diplomatic or interested in antiquities and other different things, through historical imagination through which the novelist works on building subject his novel and reading colonialism within it.

DOI:10.52113/uj05/022-15/1143-1154